

# البحث اللغوي عند العرب

# ما مصادر اللغويين العرب ؟

من الممكن حصر المصادر التي استقى منها اللغويون العرب مادتهم فيما يأتي :

- ١ — القرآن الكريم •
  - ٢ — المقرئات القرآنية •
  - ٣ — الحديث النبوي •
  - ٤ — الشعر •
  - ٥ — الشواهد النثرية •
- وإن وجد بينهم خلاف حول بعضها

# مرحلة النشأة

- لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام .
- ولم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة التي خفوا له سرعا ؛ لأنهم وَجَّهوا اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والإسلامية ، وحين فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى .
- يقول أحمد أمين : “ أكثر اللغة كُتِبَتْ في العصر العباسي الأول لا قبله ” .
- وحتى ما وُجِدَ في القرن الأول من تأملات نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز إليه إسلامياً ، ولم يُقصد لذاته ، وإنما لاعتباره خادماً للنص القرآني . ومن ذلك محاولة ابن عباس جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها ، إن صحت نسبة “غريب القرآن ” إليه . وكذلك محاولة أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف بالشكل .

- ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد .
- ويبدو أن كثيرًا من المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالدين وبالعقيدة . نجد هذا عند الهنود الذين بدعوا بحثهم اللغوي لخدمة نصوصهم المقدسة المسماة بالفيدا . ومثل هذا نجده عند الصينيين إذ كانت دراسة النصوص الدينية البوذية وغيرها سببًا في نشأة المعاجم الصينية ، وكذلك دراسة الشعر الحماسي والديني في اليونان دافعًا للتأليف اللغوي . وبدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس .
- وعلى أي حال فمن المنطقي أن يكون البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع للمادة اللغوية ، أو ما يُعرف بمتن اللغة ، وأن يسبق ذلك الدرس النحوي .

- وقد تم هذا الجمع أولاً بطريق المشافهة والحفظ ، ودون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو توبييها .
- وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم ورد النظر إلى النظر . كل بطريقته الخاصة التي رآها ، فمنهم من صنف المادة اللغوية بحسب الموضوعات ، مثل : النبات والشجر والإبل والخيل . وأخرجها في شكل رسائل منفصلة . ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي والإسلامي يدونه ويرويّه ويشرح مفرداته الصعبة . ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل .... وهكذا .
- وتَوَجَّهَتْ هذه الجهود بظهور المعاجم اللغوية المنظمة التي كان رائدُها الخليل بن أحمد ( ١٠٠-١٧٥ هـ ) ، وذلك بوضع معجم " العين " .

- **أما البحث النحوي :** فلا شك أنه بدأ متأخرًا عن جمع اللغة ؛ لأنه لا يمكن القيام به بدون مادة تُوضع تحت تصرف النحوي. وبعبارة أخرى ؛ لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ، ومحاولة لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها .
- ومع ذلك فنحن نسمع عن إشارات أو أحكام سريعة تمت في وقت مبكر جدا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الأول الهجري كتلك التي قام بها أبو الأسود الدؤلي ، أو علي بن أبي طالب . أو غيرهما .
- ويرى أحمد مختار عمر أن النحو العربي قد نشأ فناء قبل أن يكون علمًا ، أي أن هذه الطرق الخاصة بالأداء في اللغة قد التزمت باطراد في تركيبها وأساليبها ، ومرنت عليها السنة العرب. وتمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية .

# كيف نشأ النحو العربي ؟ ومن أول من ألف فيه ؟

• يقول أحمد مختار عمر : هذان السؤالان ما نظن أن في أيدينا الإجابة عنهما أو الرد عليهما بحسم . فمن قائل إنه علي بن أبي طالب ، ومن قائل إنه نصر بن عاصم . ويختلف من قالوا إن أبا الأسود هو واضع النحو في الباعث له على ذلك . فيقول بعضهم : إن علي بن أبي طالب هو الذي أوعز إليه بوضع النحو ، ومن قائل إنه عمر بن الخطاب ، ومن قائل إنه زياد بن أبيه . ومن قائل إن أبا الأسود فزع بنفسه إلى وضع النحو .

• **قد تبين أن السبب الأساسي في وضع النحو** – مهما يكن واضعه – الأسباب الآتية :

- ١ . ما فشا من لحن عقب الفتوحات الإسلامية .
- ٢ . وامتداد آفاق اللغة العربية إلى مجالات لم تُتَح لها من قبل .
- ٣ . وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب .

- ولتلق من بين الأمثلة التي ذكرها المؤرخون للحن ما يأتي :
  - ١ . تسكين أواخر الكلمات ، وترك الإعراب خوفاً من اللحن .
  - ٢ . الانحراف في نطق بعض الأصوات كنطق الظاء ضاذاً ،  
وكنطق الصاد سيناً .
  - ٣ . الخطأ في قواعد النحو .
  - ٤ . الخطأ في بنية الكلمة .
- ولم ينبجُ الحكام والخلفاء من الوقوع في اللحن ، فمنهم من كان بعد ذلك يُكابر ، ومنهم من كان يخجل ، ويحاول إصلاح نفسه وتقويم لسانه .



- ومهما كان الأمر فقد تمت أوليات الدراسة النحوية في مدينة البصرة ، وشمل ذلك الفترة التي تمتد من أبي الأسود الدؤلي إلى الخليل بن أحمد ، وكانت الكوفة وقتها مشغولة برواية الأشعار والأخبار .
- وفي الفترة بين أبي الأسود والخليل نجد أسماء – مجرد أسماء – و بعض اقتباسات ، ولكن لم تصل إلينا أي مؤلفات ، وإن ذكرت التراجم وجودها .
- ومن أشهر نحاة هذه الفترة يحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي .
- وليس هناك شيء يُذكر بالنسبة للثلاثة الأوائل . أما الثلاثة الأواخر فقد تحدثت عنهم كتب التراجم .
- أما أول عمل نحوي كامل وصل إلينا فهو ” الكتاب ” لسيبويه . وليس معنى أن ” الكتاب ” هو أول عمل وصل إلينا أنه أول عمل على الإطلاق . فقد كانت هناك جهود نحوية قبل سيبويه .